المرجعيّات الثقافيّة في ديوان "حكاية الولد الفلسطيني" للشاعر أحمد دحبور

Cultural References in the Collection "The Story of the Palestinian Boy" By the Poet Ahmed Dahbour

أ. **حاتم عبد السلام شبانه التميمي:** طالب دكتوراه في اللغة العربية، مجال الأدب والنقد، جامعة منّوبة، الجمهورية العربية التونسية.

Mr: Hatem A Salam Shabaneh Tamimi: PhD student in Arabic Language, The field of literature and criticism, Manouba University, Tunisian Arab Republic.

Email: hatim_shabaneh@hotmail.com

الملخص:

تشكل النصوص القديمة، والتي أبدعها الشعراء، مرجعيات ثقافية هامة، ومادة إلهام خصبة لكثير من الشعراء أصحاب النصوص الحديثة.

وعليه يمكننا القول: إنّ تلك المرجعيات الثقافية هي كل ما ابتدعته المجتمعات العربية في حركة صيرورتها التاريخية منذ العصر الجاهلي مروراً بالعصور التاريخية المتعاقبة، كما أنّها تشكّل جزءاً من التراث الذي هو روح الأمّة ومقوماتها وتاريخها.

إنّ الارتباط بالتراث يعني أن تتم استعادته ولكن ليس بحرفيّته وآليته المقيّدة، بل أن نأخذ منه قيمة ونسقطها على الواقع حتى تظل الشخصية دائمة الحياة وتستمر حركة الإبداع في عصرنا.

كانت تلك المرجعيات الثقافية التراثيّة هي الينبوع الدائم التفجر، بأصل القيم وأنصعها وأبقاها، والأرض الصلبة التي يقف عليها ليبني فوقها حاضره الشعري الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها، والحصن المنيع الذي يلجأ إليه كلما عصفت به العواطف فيمنحه الأمن والسكينة.

وكانت الشخصيات التي تشكل أساس تلك المرجعيات التراثية هي هذه الأصوات التي استطاع من خلالها أن يعبّر عن كلّ أتراحه وأفراحه، أن يبكي هزيمته أحرّ البكاء، وأن يتجاوزها في الوقت نفسه.

وتوظيف التراث يعني استخدام معطياته استخداماً فنياً ايحائياً، وتوظيفها رمزياً لحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية للشاعر، بحيث يسقط الشاعر على معطيات التراث ملامح معاناته الخاصة فتصبح هذه المعطيات تراثية معاصرة، تعبر عن أشدّ هموم الشاعر المعاصر خصوصية في الوقت الذي تحمل فيه عراقة التراث.

بناء على ذلك عمل الشاعر أحمد دحبور على استدعاء تلك النصوص وإجراء عمليات تلاقح بينها وبين النصوص الجديدة التي أنتجها هو، مشكّلة بذلك ثمرة جديدة تحمل في طيّاتها معاني وصور جديدة، يعبّر من خلالها عن همومه، والتي أثقلت كاهله منذ كان طفلاً.

الكلمات المفتاحيّة: أحمد دحبور، المرجعيات الثقافيّة، التراث، توظيف.

Abstract:

Ancient texts, created by poets, constitute important cultural references and fertile inspiration for many poets with modern texts.

Accordingly, we can say that these cultural references are all that Arab societies have invented in their historical movement since the pre-Islamic era through successive historical eras. They also form part of the heritage, which is the spirit, foundations and history of the nation.

The connection to heritage means that it is restored but not with its limiting craftsmanship and mechanism, but rather that we take value from it and drop it on reality so that the character remains a lifelong person and the movement of creativity continues in our time.

Those heritage cultural references were the ever-erupting spring, with the origin, brightest and most preserved values, the hard ground on which he stands to build his new poetic present on the firmest and most solid rules, and the impregnable fortress he resorts to whenever emotions ravage him, giving him security and tranquility.

The characters who formed the basis of those heritage references were those voices through which he was able to express all his sorrows and joys, to cry and at the same time surpass his defeat.

The use of heritage means the use of its data as a suggestive artistic use, and its symbolic use to carry the contemporary dimensions of the poet's poetic vision, so that the poet drops his own features of suffering and becomes a contemporary heritage, reflecting the most special concerns of the contemporary poet at a time when the heritage is ancient.

Accordingly, the poet Ahmed Dahbour worked to summon those texts and to carry out vaccinations between them and the new texts produced by him,

thus forming a new fruit with new meanings and images, through which he would express his concerns.

Keywords: Ahmed Dahbour, Cultural References, Heritage, Employment.

المقدمة:

تشكّل المرجعيات الثقافية منجم طاقات إيحائية لا ينفذ له عطاء، فعناصر هذه المرجعيات ومعطياتها لها من القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفذ، وعلى التأثير في نفوس الجماهير ووجدانهم ما ليس لأيّة معطياتٍ أخرى يستغلها الشاعر حيث تعيش هذه المعطيات والتي نستطيع تسميتها بمادة تراثية في وجدانيات الناس وأعماقهم تحفّ بها هالة من القداسة والإكبار، لأنها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي.

لذلك سعى الشعراء المحدثون إلى إعادة تلك المرجعيات الثقافية التراثية بكل شخصياتها ووقائعها، وذلك بكشف كنوزها وتجليتها وتوجيه الأنظار إلى ما فيها من قيم فكرية وروحية وفنيّة صالحة للبقاء والاستمرار، إذ أدركوا أنه لا نجاة لشعرنا من الهوّة التي انحدر إليها بغير ربطه بتراثه العريق؛ فالتراث يشكل الهويّة الحضارية للأمة، وهو بالنسبة للشعب الفلسطيني أهم مصادر هذه الهوّية، يربطها بالماضي العريق الذي يحاول العديد القضاء عليه، الأمر الذي دفع الشعراء الفلسطينيين إلى التواصل مع هذا التراث لحمايته من الاندثار.

تستمدّ هذه الدراسة أهميّتها من أهمية المرجعيات الثقافية التراثية ذات البعد الإنساني في نهضة وتقدّم الأمم، فلا حضارة دون ماضٍ، ولا تقدّم لأمة دون الاعتزاز والفخر بماضيها المشرق المنير؛ فالربط بين الماضي والحاضر، واستحضار الماضي يوازن من الحضور النفسي للإنسان، ويربط ماضيه بحاضره لاستلهام ما هو جدير بالتذكر، حتى يكون عوناً له في تخطّي العقبات.

ومن بين هؤلاء الذين عملوا على استلهام الماضي وإسقاطه على الحاضر، الشاعر (أحمد دحبور) الذي تواصل مع تلك المرجعيات الثقافية تعبيراً منه عن الرّفض لمحاولات طمس هوّية الشعب الفلسطيني، وحفاظاً على تاريخه الممتد من الضياع.

- **عوامل عودة الشاعر العربي المعاصر إلى المرجعيات الثقافية**

هناك مجموعة من العوامل الثقافية والفنية والاجتماعية وراء شيوع ظاهرة استدعاء الشخصية التراثية في شعرنا العربي المعاصر الذي يمثل صورة من صور ارتباط بالموروث ووراء ارتداد شاعرنا المعاصر إلى الموروث بشكل عام، ومن هذه العوامل:

١- **العوامل الفنية:** وهي إحساس الشاعر المعاصر بمدى غنى المرجعيات الثقافية التراثية وثرائها بالإمكانات الفنية وبالمعطيات والنماذج التي تستطيع أن تمنح القصيدة المعاصرة طاقات إبداعية لا حدود لها[١]، وقد أدرك الشعراء الفلسطينيون هذه الإمكانات فقاموا باستغلالها في نظم أشعارهم.

٢- **العوامل الثقافية:** هي من تأثير حركة إحياء التراث والتأثير بالاتجاهات الأوروبية الداعية إلى الارتباط بالموروث [٢]، فقد حرص الشعراء الفلسطينيون على استلهام التراث وهم أهل التراث الذي تفخر به أي أمة تنتمي إليه، يستمد منه الشعب الفلسطيني دافعاً قوياً للاستمرار دون ملل أو كلل، وقد كان للشاعر أحمد دحبور تلك اللمسات المضيئة في إحياء تلك المرجعيات الثقافية التراثية في نفوس الناس.

٣- **العوامل السياسية والاجتماعية:** وهي التعبير بطرق فنية غير مباشرة نتيجة اشتداد القهر السياسي والاجتماعي [٣]، فقد عانى الشعب الفلسطيني من شتى ألوان الاضطهاد السياسي والفكري والاجتماعي، كما عانى من الاجتثاث والقهر والغربة والتمييز والفقر والجوع، وبدأت هذه المعاناة بعد حرب عام ١٩٤٨م التي أدت إلى هجرة نحو مليون لاجئ فلسطيني من ديارهم، فهبّ الشعراء الفلسطينيون ليعبّروا عن أحاسيسهم وذلك لمواجهة السياسة الصهيونية الهادفة للقضاء على الهويّة الفلسطينية.

٤- **العوامل القومية:** وتتمثل في مواجهة الخطر الذي يهدد الكيان القومي للأمة العربية [٤]، إذ إنّ علاقة الأمة بتاريخها وتراثها علاقة عميقة ومؤثرة، ولا غنى لأي إنسان أياً كان عن تلك العلاقة، ويعدّ ذلك من عوامل التجديد أو قل الاستمرار في إحياء تلك النزعة القومية عند الشعراء العرب، وإن تاريخ وتراث أي أمة يشكلان سنداً لها ومصدراً تستلهم منه تلك القدرة على الصمود والاستمرار

---

١) أبو أصبع، صالح، (١٩٧٩)، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ٤٨-٧٥. ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص١٢٨.

٢) المرجع السابق، ص١٢٨.

٣) المرجع السابق، ص١٢٨.

٤) المرجع السابق، ص١٢٨.

والتقدم، والتراث جذر من جذور الأمة، ومكون أساسيّ من مكوّنات شخصيتها، وبهما تتميّز الأمة عن الأمم الأخرى.

٥- **العوامل النفسية:** الهروب من أحساس الغربة الذي يعانيه الشاعر من العامل المعاصر إلى أحضان التراث [٥]، وقد ارتبط الدافع النفسي بالدوافع الأخرى، وعلى مستوى التراث يأخذ الدافع النفسي جوانب الاعتزاز بالثقافة، كما يأخذ جانب المواجهة في وجه التحديات السياسية والاجتماعية، وكما تعرّض الشعب الفلسطيني للتشتيت والغربة وفقدان الأرض فإن ذلك قد انعكس على نفسيّته، لذلك قام الشعراء باستحضار التراث حرصاً منهم على بقائه وبقاء الرموز التراثية حاضرة باستمرار في نفس الإنسان الفلسطيني.

- **توظيف المرجعيات الثقافية في السيرة الذاتية للشاعر أحمد دحبور**

يتحدّث الشاعر عن نفسه في ديوانه ويقول:

"والآن... هل يحق لي أن أقول شيئاً عني؟

المولد ٢١ نسيان ١٩٤٦ في حيفا، واللجوء: ٢١ نيسان ١٩٤٨م إلى لبنان ثم الاستقرار المؤقت في سورية.

أمي، والزير سالم، وموريس قبق.... الشخصيات الثلاث التي لولاها ، لما عرفت إذا كنت سأصل إلى الشعر، أو ما إذا كان وصولي سيكون على هذا النحو، وطبعاً أنا لا اتحدث عن المستوى، بل عن جبلة الهمّ الشعري، كنّا، في ثكنة خالد بن الوليد- مخيم اللاجئين الفلسطينيين في حمص – نعاني فقراً إضافياً، وربما يتميز عن فقر جيراننا في المخيم، فالأخ الكبير، جمل المحامل أو عمود البيت، بين السجن أو المنفى بسبب أفكاره السياسية، والأب الذي يغسّل الموتى ويُسجِّر في رمضان ويقرأ على القبور لا يجد في بطالته المقنّعة هذه، ما يكسب منه قوتنا الكافي، وهكذا نعيش(على وجه الدّقة: كنت أعيش على حكايات أمي ... كنت أذهب إلى مدرسة الهيئة حافياً تقريباً، وفي الليل كانت أمي تدلّك قدمي، وتحكي لي عن البحر الذي جلبته لي خصيصاً من حيفا، وحيفا هذه ليست مدينة، إنها الجنّة ومن لا يصدق فليسأل أمي، وهي ستروي أنّ جبل الكرمل في حيفا يمشي كل سنة سبعة أمتار"[٦].

---

[٥] أبو أصبع، صالح، (١٩٧٩)، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ٤٨-٧٥. ص١٢٨.

[٦] دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. بيروت: دار العودة، ص٢١-٢٢.

في فضاء المخيم تشكل وعي الشاعر، وبدأ نسيج تجربته الشّعريّة يتلوّن بمشاهداته اليوميّة، وبحكايات الأهل عن العودة للوطن، وبأحداث مفصلية بقيت وشماً في ذاكرة الشاعر، فرسمها شعراً بعد عشرات السنين، في غير قصيدة من أعماله الشعرية، إذ "**يتحدث الناس في المخيم عن الوطن كما لو كان مادة يومية متداوَلة ومؤَرّقة، يشرب الضيف فنجان قهوة فيقول: بعودتك، فيجيبه صاحب البيت برفقتك.. الوطن هكذا بسيط، أليف وفاجع، وصور الشهداء تملأ الجدران**"[٧].

لقد أبدع الشاعر في وصف حاله، والسر في ذلك كما أرى هو الواقع المرير الذي عاشه فكانت كلماته نابعة من عاطفة صادقة واصفة لما يختلج صدره من مرارة العيش وقسوة الحال.

يتجلى مشهد الفقر والحرمان في قصائد الشاعر، وبخاصة عندما تحصل الأسرة على تشكيلة من الثياب المستعملة التي كانت تُعرف باسم (البقجة)، ويسترجع الشاعر ذكريات ذلك المشهد بقوله:

"**عرس المخيّم هذا فائق البهجة**
تضيئه امرأة الخوريّ بالبقجة
مستبشر كلُّ بيت
أختنا رقصت: هذه البلوزة لي
زقزقت: والكرة البيضاء لي
وأخونا شدّ معطفه البني
أمي تدارينا
وتشفق أن نرى أساها الذي صارته عيناها"[٨].

إنّ ما كان من أمر (البقجة) هو حقيقي، يمثل أنموذجا وانعكاساً حقيقياً لما كان يحصل في تلك الفترة من حياة الشاعر، فكان لها أثرها الواضح في صقل شخصيته الشعرية، ظهر ذلك بشكل جليّ من خلال أشعاره.

تعلم أحمد دحبور في ابتدائية الشجرة، حمص، وإعدادية خالد بن الوليد والمدرسة الغّسانية الأرثوذكسية، وحصل على دبلوم صحافة نقابة الصحفيين العرب.

كان مولعاً بقراءة القصص والحكايات الشعبية منذ طفولته، مال إلى تقليد الشعر البسيط، وعلى الرغم من أن تحصيله العلميّ كان قليلاً إلّا أن ثقافته كانت واسعة، حيث تعرّف إلى صديق

---

٧) المصدر السابق، ص١٠.
٨) المصدر السابق، ص١٥.

كان يعمل أستاذاً اسمه موريس قبق، الذي كان له أثر كبير في شاعريته، أوصاه بالتعرف إلى الشعر المعاصر وقراءة الروايات الكلاسيكية والشعر المترجم على اختلاف مصادره ومدارسه [٩].

يقول دحبور عن هذا الأمر:

"**ويلمح موريس قبق في يدي ديوان الخمائل فيقول: إيليا أبو ماضي شاعر كبير، لكنّك لن تصبح شاعراً كبيراً إذا ظلّ أبو ماضي شاعرك المفضل.**

كيف؟ لا أعرف أن أشرح لك هذا الآن، وكذلك ستبتعد عن مرحلة أبي ماضي شيئاً فشيئاً، وفيما بعد، عندما تصبح شاعراً ذا صوت خاص قد ترجع إلى أبي ماضي بطريقة مختلفة.

كنت أفهم كلامه ولا أفهمه، أما اليوم الذي أطار صوابي فيه، فهو حين أخبرني أنّ الشعر الحديث هو الشعِر ... أما هذا الكلاسيكي السَّـلَفي فقد انتهى أمره"[١٠].

أصبح دحبور من الشعراء الفلسطينيين المتعمقين في التراث العربي، وقد اجتمعت لذلك عوامل عدّة، منها تأثير البيئة الشعبية التي عاش فيها، وتأثير أمّه التي كانت تروي له حكايات تساعد خياله على التحليق وتأثير استاذه موريس قبق، بالإضافة إلى إعجاب الشاعر بقصة الزير سالم التي رددها كثيراً حتى حفظها [١١].

يقول في ذلك: " **أمّا الزير سالم فيأخذني من الموقع نفسه: لا أذكر طفولتي إلّا برفقة الزير سالم، كنت أقرأ القصة لجدتي العمياء، ثم صرت أتلوها دون كتاب، فقد حفظتها تماماً**"[١٢].

أما عن التربية والثقافة الدينية يخبرنا أحمد دحبور بأنه "ابن شيخ مسلم سنّي معمم "وأنه عاش مرحلة حسّاسة من عمره في بيئة مسيحية، وهذا ما يفسّر بروز الرموز الإسلاميّة المسيحيّة في شعره[١٣]، ومن ناحية أخرى كان للبيئة السياسيّة والفكريّة أثر جليّ في صقل شخصيّة دحبور الشعريّة، إذ يرى أنّ جيله عاش تحوّلات وتجارب عميقة وخطيرة، فقد فتحوا عيونهم على النكبة، وعايشوا اربع حروب، وانخرطوا في الفكر القومي، وعصفت بهم الوجوديّة، وشغلتهم الماركسيّة،

---

٩) اليسوعي، روبرت كامبل، (١٩٩٦)، أعلام الأدب العربي المعاصر. ط١، بيروت: الشركة المتحدة، ص٥٨٩.

١٠) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص٢٥.

١١) صلاح الدين، بنان محمد حسين، (٢٠٠٣)، التواصل بالتراث في شعر أحمد دحبور. رسالة ماجستير، دائرة اللغة العربية وآدابها، جامعة القدس، فلسطين، ص٨.

١٢) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص٢٣.

١٣) من حوار أجرته عزيزة علي، الخميس ٢٠٠٥/٨/٢٥ (غزّة) http://www.al-arabeya.net/index.asp

وخلال هذه الفترة كان الشعر العربي يتنقل بين التيارات والمدارس بسرعة الصاروخ، سواء بأشكال الكتابة من نظام البيت إلى التفعيلة إلى غير الموزون، أو بالمدارس الفنيّة نفسها[١٤].

- **المرجعيات الدينية**

وجد الشاعر الفلسطينيّ المعاصر المرجعيّات الدينيّة مصدراً هامّاً من مصادر الإلهام في الأدب، شعره ونثره، فقد عمدت الحركة الصهيونية منذ زمن ليس بالقريب إلى تشويه صور الرموز الدينية التي تستقي منها الشعوب العربية والإسلامية عامة والشعب الفلسطيني خاصة كثيراً من ثقافتها التي تؤثر في تكوينها الفكريّ، فأقبل على هذا التراث بنهم، ينهل من ينابيعه السخيّة ويثري بها تجربته الشعرية، وفي الوقت نفسه يوفر لها، أغنى الوسائل الفنية بالطاقات الإيحائية وأكثرها قدرة على تجسيد هذه الترجمة وترجمتها ونقلها إلى المتلقي، كما يلجأ إليه هرباً من القهر والاضطهاد كما أنه مليء بالقيم والرموز، وقد شكّلت المرجعيات الدينية أيضاً مرجعيّة دلالية لها حضورها القويّ والفعّال في القصيدة المعاصرة لخصوصيته، وتميّزه وقدرته على النهوض بانفعالات المبدع وتجاربه، والتأثير في وجدان المجتمع؛ لذلك أولاه أهمية كبيرة واستخدمه أيّما استخدام.

أولاً: القرآن الكريم:

يُـعد تواصُـل الشاعر مع القرآن الكريم تحدياً للكيان الصهيوني الذي يحاول تشويه الدين الإسلامي وطمس الهُوية الإسلامية التي هي أصل هذا الشعب منذ القدم فهذه الأرض تحمل قداسة القرآن.

وقد وظف أحمد دحبور عدداً من الآيات القرآنية في شعره، ومن ذلك قوله:

"العالم أسره أيتام تتضور

وفلسطين في هذا العام

جنات تجري تحت حجارتها الألغام"

---

١٤) المرجع السابق.

في هذه الأسطر الشعرية تحوير لقوله تعالى: "**جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً**"(١٥).

وفي قوله:

"**وأضاءت أرض في قسمات الوجه الأسمر**

في اليوم الهارب من أغوار الصيف

لم يبك حناناً أو عن خوف

لكن الرائحة السرّية من أنهار الكوثر

نفذت كالسيف

في القلب الأخضر"(١٦).

كذلك فيها تحوير لقوله تعالى: "**إنا أعطيناك الكوثر**" (١٧).

فالشهداء يروون بدمائهم تراب الوطن الذي هو جنة الفلسطيني لكن هذه الجنة مليئة بالألغام، لا ينالها إلّا المجاهد المضحي بنفسه وروحه حتى إذا ما نفذ فيه قدر الله عز وجل ونال الشهادة فاز بالجنة ونَهل من الكوثر.

ومن ذلك أيضا قوله:

"**ريح الهول اختبرت لي كل الزرع**

حتى الغابيّ ...فكنت الأبقى

الآن.. عِدّي أن تثرى العُـمقا

---

١٥) البينة: ٨.

١٦) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص ٢٠٥-٢٠٦.

١٧) الكوثر: ١.

بسنابل سبــعٍ"[١٨]

فيها توظيف لقوله تعالى: "**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم**"[١٩].

إنّ الله يضاعف الأجر لمن ينفق الأموال في سبيله والفدائي الفلسطيني يمثل حبّـةً من القمح، فإذا ما جاهد واستشهد تضاعف عدد السائرين على دربه الذين يحذون حذوه ويتبعونه بالشهادة.

وفي قول دحبور:

"**لا تهزي إليك بالجذع فالنخل غريق في النفط**"[٢٠].

استلهم الشاعر قوله تعالى: "**وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيّاً**" [٢١].

موضحاً مدى التخاذل العربي، وغرق العرب في اللهو والترف مبتعدين عن قضية فلسطين وهموم إخوانهم الفلسطينيين.

وفي قوله:

"**الخوف يقتل غبطة الأطفال في الليل المريع**

ويوسد الجسد المهاجر بالنجيع

أعرفتها، هذه ثياب أبيك تقطر بالمصيبة

كانت يداه غمامتين تفيئان الطلع والطفل الرضيع

كانت يداه ... وماذا بعد، همهمة وريبة

---

[١٨]) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص١٨٧.

١٩) البقرة: ٢٦١.

[٢٠]) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان، ص٣٠٠.

[٢١]) مريم: ٢٥.

ووصية

لكنّ ألواح الوصايا أصبحت خشباً لتابوت المصيبة" [٢٢].

وظّف قوله تعالي: "**وقال لهم نبيهم إنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين**"[٢٣].

فسّر سيد قطب رحمه الله الآية فقال: "إنّ التابوت هو صندوق يوجد فيه بقية من آثار آل موسى وآل هارون، كان إعداء بني إسرائيل الذين شرّدوهم من الأرض المقدّسة بعد وفاة موسى قد سلبوا من مقدساتهم ومنها التابوت، كانوا يحفظون به مخلفات موسى وهارون ونسخة من الألواح التي أعطاها الله لموسى في الطور فجعل لهم نبيهم علامة من الله دلالة على صدق اختيار الله لطالوت أن يأتيهم التابوت بما فيه تحمله الملائكة فتفيض على قلوبهم السكينة"[٢٤].

فالتابوت بما فيه أفاض السكينة على بني إسرائيل، لكن الشاعر حوّر النص، ذلك أن الشهيد الذي له فضل على الوطن وعلى الكرامة العربية، الذي قاوم وأوصى من بعده بالاستمرار على دربه خُذل نتيجةً للخيانة والضعف العربي، تحوّلت وصاياه إلى متاجرة بدمائه وإلى استغلالٍ لجسده الذي أصبح خشباً لا قيمة له، تقطر ثيابه بالتخاذل العربي، لذلك أصبح التابوت مصيبة لا سبيلاً للاطمئنان، ولا يخفى البعد السياسي في هذه المسألة، في الربط بين وصية الشهيد وألواح الوصايا فوصايا الشهداء لم تلقَ من الجهات الرسميّة استحقاقاتها الوطنيّة المقدّسة، كذلك الأمر في الوصايا العشر التي تُعد أساس الديانة اليهوديّة لم تلق من اليهود استحقاقاتها الإنسانيّة، فظلموا وقتلوا وشرّدوا.

موقف الشاعر من ترك الوطن لغير أهله:

وفي مخاطبة الشاعر للفلسطيني المغترب عن أرضه دعوة إلى العودة، ذلك سلوك للطريق المستقيم حتى لا يترك الوطن لغير أهله، يقول في ذلك:

"لو سكن الغريب فوق شعره الصراط

---

[٢٢]) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص١٤١.

[٢٣]) البقرة: ٢٤٨.

[٢٤]) قطب، سيد، (١٩٧١)، في ظلال القرآن. ط٧. بيروت: دار إحياء التراث الديني، ص٣٧٢.

(الكرمل الأسير يبقى شعره الصراط)

فكيف ينساك ترى؟"[٢٥].

يتمثل ذلك قوله تعالى: "**اهدنا الصراط المستقيم**"[٢٦].

يعتبر الشاعر الصراط المستقيم الذي ينبغي على الفلسطيني عبوره هو الطريق إلى الوطن، فلا يجوز التخلي عنها مهما كانت الظروف قاسية.

حتميّة العودة:

وفي قول الشاعر:

"**قلت في فوّارة القيظ يجئ الفاتحون**

وعلى ظهر حزيران المكابر

قلت عن طير الأبابيل، وعن ريح المنون

أنها تنهض من مرج ابن عامر"[٢٧].

توظيف لقوله تعالى: "**وأرسل عليهم طيراً أبابيل**"[٢٨].

فقد أهلك الله أصحاب الفيل بأن أرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بالحجارة المشتعلة ناراً، تحدياً لهم، والشاعر هنا يبين أنّ الثورة ستنهض من مرج ابن عامر تحدياً للاحتلال، ممثلة بطير الأبابيل وريح المنون وهم الفدائيون، فريح المنون التي أهلك الله بها قوم عاد كفيلة بإهلاك العدو، قال تعالى: "**وأما عاد فأهلكوا بريح صرصرٍ عاتية**" (القرآن الكريم، الحاقة:٦).

---

[٢٥] دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص١٧٩.

[٢٦] الفاتحة: ٥.

[٢٧] دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص١٩٣.

[٢٨] الفيل: ٣.

ثانياً: شخصيات الأنبياء:

١- شخصية محمّد ﷺ:

تحمل شخصية محمد ﷺ دِلالات متنوعة، منها أنّها رمزٌ للإنسان العربي في انتصاره أو عذابه، وأنها رمزُ للإنسان الثائر المتمرد على الظلم المنتظر ليخلِّص الناس والأمة من آلامها[٢٩].

وقد رمزت شخصيّته – عليه الصلاة والسلام – عند أحمد دحبور للإنسان الفلسطيني المطارد، يقول دحبور:

"السيد الأمين
كان له مغارة وخيط وعنكبوت
فلفّت المطاردين خيمة السكوت
كان له تميمة البقاء مع حليمة
وَقَتْهُ حُمَّى اليُتْمِ والتشرّد الممقوت
واليوم.. حين أُلغِيت حليمة
وماتت الأسرار في التميمة
عادوا مع الطراد قائلين
ليس له مغارة ... وفي غد يموت"[٣٠].

فسيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم – هو رمز الفلسطيني المطارد، المنفي عن وطنه، الذي يبحث عن الخلاص والانعتاق، إذ يجسّد ملاحقة الإنسان الفلسطيني في كل مكان في محاولة لإلغاء وجوده، مستخدماً في ذلك إيقاع السرد، وممتداً في البعد الزماني ليضع المتلقي في دائرة الضوء التاريخية ويكشف عن محاولات التزييف التاريخي، يقول دحبور مفاجئاً الجميع:

"يشق في الجدار ألفَ كوّة، يحقق انعتاقه
يعبر بين الجن والحصون"[٣١].

---

٢٩) شوقي، أحمد أبو زيد، (١٩٩٥)، المصادر التراثية الفلسطينية في الشعر الفلسطيني، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، ص ١٣٩.

٣٠) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص١٢١.

٣١) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص١٢٢.

فالشاعر يرسم درب الخلاص من خلال استثماره للرمز الديني والانتفاع من دلالته، فتتحول أدوات تشكيله الفني إلى أفعال تجسّد الرؤى (يشقّ/ يحقق/ يعبر) وتتحقق الآمال.

ومعاناة الرسول ﷺ صورة عن معاناة الإنسان الفلسطيني، يقول دحبور:

"وكان على الصخر ينشج أبو لهب يقتفيه، فينهدُّ، ينشج،

.... ولو متُّ غيلة

فإن صلاتي إلى الأرض تخرج

تصوغ الحوار – القبيلة

تسوق الأضاحي، وتنفي الأضاحي الدخيلة"[٣٢].

كما استمد الشاعر المغزى من قصة الإسراء والمعراج، كونها معجزة إلهية للتخفيف من آلام النبي كرمزٍ لإرادة الشعب الفلسطيني المقاومة للعدو، التي تتحقق من خلالها معجزة النصر على العدو، يقول دحبور:

"وكان اغتراب ورؤيا طويلة

وكان نبي الله يعرُج"[٣٣].

ويستحضر الشاعر قصة آل ياسر لما لاقوه من ظلم ومعاناة، وكان الرسول ﷺ يبشرهم بالجنة، ويُسقط الشاعر دلالة هذه الحادثة على واقع الشعب الفلسطيني جاعلاً منه امتداداً لآلِ ياسر في الصبر ومواجهة الظلم.

يقول:

"مرحباً آل ياسر

---

[٣٢]) المصدر السابق، ص١٦٧.

[٣٣]) المصدر السابق، ص١٦٧.

أبشروا آل ياسر

قلت في فورة القيظ يجيء الفاتحون

وأراهم يعبرون"[٣٤].

وتواصل الشاعر مع شخصية النبي ﷺ حيث يقول:

"بِيغلِ وطيسـنا المخزون في كلّ الميادين"[٣٥].

تراجع المسلمون في معركة حنين، فأمر الرسول العباس أن ينادي ليجمع الناس، فاجتمع حول الرسول مائة رجل، فلما رأى شدة القتال قال:

"أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب

وقد كان النبي أول من قالها"[٣٦].

وفي قصيدته "**جمل المحامل**" فقد استخدم الشاعر إيقاع وأسلوب النبي – عليه الصلاة والسلام – في خطبته في حجة الوداع التي اختتمها بقوله: "**ألا هل بلغت اللهمّ فاشهد**"[٣٧].

فيقول في ذلك:

"ألا لا برّأتهم من دمي عمّان، ولن يجدوا لهم عذراً متى ما عدت

فإني اليوم قد بلّغت

قد بلّغت"[٣٨].

---

٣٤) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص١٦٧.

٣٥) المصدر السابق، ص١٦٧.

٣٦) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ت ٦٣٠هـ (١٩٨٧)، الكامل في التاريخ. تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، م٢، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ص١٣٧.

٣٧) ابن هشام، (د. ت)، السيرة النبوية. تح: محيي الدين عبد الحميد، ج٢، القاهرة: دار الفكر، ص ص ٦٠٣-٦٠٤.

٣٨) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص٢٣٨.

فالشاعر يكون قد بلّغ الناس جميعهم مأساة الفلسطيني الذي قتله إخوانه في عمّان غدراً، أمام جميع العيون، فلم يهبّ أحدٌ لنجدته.

٢- شخصية عيسى عليه السلام:

التراث الديني المسيحي بما يحتويه من عذابات الصلب، ومفاهيم التضحية والفداء غني بالإيحاءات والرموز الشعريّة المتناغمة مع عذابات الشعب الفلسطيني، إذ إنّ هناك درجة عالية من التطابق بين المسيح والمقاتل الفلسطيني، فكلاهما يصل ذروة العطاء، وهو الموت من أجل أن يمتلك المعجزة، وهي في الحالتين الخلاص للآخرين [٣٩].

يقول دحبور في ذلك:

"وتسكن، تحت لساني، لغات جديدة

مكرسة للنبي- الجنين

يخافونها لحظة، يفلتون عليها خيول اليباب

وبعد خيول اليباب

أقول: سينمو الجنين

بشارة فاد بصلب العذاب"[٤٠].

فالمولود الجديد هو المعجزة وهو الثورة

ويشبه الوطن بالناقة المستباحة، وتحرير الوطن هو الذي سيداوي يسوع (الفلسطيني) من عذابه، يقول:

---

٣٩) أبو نضال، نزيه، (١٩٧٤)، الشعر الفلسطيني المقاتل، دراسة في الواقعية الثورية. ط١، بيروت: منشورات اتحاد الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين، ص٧١.

٤٠) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص ص ١٣٦-١٣٧.

"تركض الناقة المستباحة؟

في ثقوب الدروع

ليراها يسوع، فيداوي جراحه"[٤١].

صرخ المسيح في الصيارفة الذين يحتلون الهيكل وطردهم خارج الهيكل "**ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذيم كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقَلَب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهم: مكتوب بيتي بيت الصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص**"[٤٢].

يقول دحبور في ذلك:

"منذ وَمض السنين

ظهر الهيكل الثمين

فنزعنا مخاوفه

وطردنا الصيارفة"[٤٣].

وفي معرض الحديث عن حياة الشاعر، ذُكر أن الفقراء أخذوا حيزاً واضحاً في شعره، فصوّر معاناتهم، إذ يأكلون الخبز مغموساً بدمهم وآلامهم كونهم شردوا عن وطنهم، كما هو حال المسيح الذي أكل الخبز مغموساً بدمه لما سيتعرض له من إنكار حين يصيح الديك: "**وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى تلاميذه وقال: خذوا كلوا هنا هو جسدي، قال لهم يسوع: كلكم سيستولي عليكم الشك في أمري هذه الليلة... الحقّ أقول إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك ستنكرني ثلاث مرات**" [٤٤].

يقول دحبور:

---

[٤١] دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص١٧٤.

[٤٢] متّى:٢١.

[٤٣] دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص٢١٢.

[٤٤] متّى: ٢٦.

"أكلنا خبزنا السرّي معموداً بماء الجرح

وأنكرنا معلمنا ثلاثاً قبل ديك الصبح"[٤٥].

ويربط الشاعر بين آلام النزوح من فلسطين وآلام السيّد المسيح – عليه السلام – في (جمعة الآلام) وهي يوم ذكرى صلب المسيح الذي يسبق عيد القيامة بيومين، وفق العقيدة المسيحيّة في قوله:

"بعد جمعة الآلام قام السيّد المسيح

والتفتّ، كانت عندك الوردة

–قام حقّا–

إذن فلست وحدك المنذور للأحلام

ولست وحدك الذي يشجّر الآلام

وعندك الوردة"[٤٦].

كما يربط قيامة المسيح وعودته بعودة النازحين إلى الوطن، فعودة المسيح تلك التي ستعيد الحقّ والعدل بعد الجور والظلم، كما عودة اللاجئين الفلسطينيين ستكون عودة للحقّ والعدل ونهاية للظلم الذي أحاط بالفلسطينيين فترة طويلة من الزمن.

٣- شخصية موسى عليه السلام:

يستحضر الشاعر دحبور شخصية النبي موسى عليه السلام،

ويقول:

"ولقد آنست ناراً

---

[٤٥] دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص١٨١.

[٤٦] المصدر السابق، ص٦١٠.

قبساً يمخر أعماق السكون

باسم رمح الأمل المزروع في نهر العيون

باسم جوع يقتل الأطفال ... كافر

أعبر النهر المجاور

وأفتح السمسم بالنار ... فيسري العائدون"[٤٧].

سار موسى بأهله فضلّ الطريق، وذلك في ليل وظلام، فآنس من جانب الطور ناراً تأجج وتضطرم، فطلبها ليهتدي إلى الطريق، أو يجعلهم يستدفئون بها، وعندما وصل إليها وجد حولها الملائكة ثم خاطبه الله وناجاه.

يقول تعالى: "**إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون**"[٤٨].

وقد قام الشاعر بتحوير دلالة هذه الحادثة لتدل على ولادة الثورة ونورها العظيم، تلك الثورة على الظلم والتي ستعيد الحقّ لأصحابه، فذاك النور قد وُجِد لينير الطريق نحو الأمل الجديد الذي ينتظره الفلسطيني للحصول من خلاله على كامل حقوقه.

ثالثاً: الشخصيات الدينية

وظّف الشاعر دحبور شخصية المهدي المنتظر عليه السلام الذي يخلِّص الناس من الدَّجال، في قوله: "**سيخلصنا المهدي بالسيف، لكنا أبصرناه ... وكان السيف**"[٤٩].

فالخلاص لا يأتي بانتظار المهدي لكنه يأتي بالسيف الذي رمز به للثورة.

---

[٤٧] دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص ١٩٣-١٩٤.

[٤٨] النمل: ٧.

[٤٩] دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص ٢٠٤-٢٠٥.

- **توظيف المرجعيات الثقافية الشعبية**

كان الشاعر أحمد دحبور من بين الشعراء الفلسطينيين الذين وظفوا المرجعيات الثقافية الشعبية بمختلف أنماطها مثل الحكاية الشعبية أو الخرافية والأغاني الشعبية والمواويل الشعبية والأمثال الشعبية والعادات والتقاليد الشعبية، وقد جاء تميزه عن غيره بالنزعة التراثية نظراً للظروف الصعبة التي عاشها في المخيم بعد نكبة عام ١٩٤٨م ما أثر على معجمه الشعريّ بشكلٍ عام، وكان ذلك من خلال:

أولاً: الأمثال الشعبية:

يُعد المثل الشعبي أكثر ألوان الأدب الشعبي انتشاراً، فهو عبارة عن "جملة استوعبت حكمة الشعب ونظرته لطبيعة العلاقات الإنسانية، بل هو من الفنون الأدبية النثرية، ولكنه أوسعها انتشاراً بل أكثرها دوراناً على الألسنة ووثوباً إلى الذاكرة، لأنه غَرْس الحكمة وابن الخبرة ومقياس الأدب، والحل الحاسم لكثير من أوجه الإشكال، ومرآة لكل قوم، يصف أحلامهم وعاداتهم وشاهد عيان على لغتهم، فهو ينبع من طبقات الشعب كلها دون أدني تفريق أو تمييز"[٥٠]. إذ إنّ للمثل أهمية كبرى في تعديل السلوك الإنساني والتأثير على التفكير، فمن خلال جملة بسيطة، كلماتها معدودة تجد الكثير من المعاني الكامنة وراءها، جمل قيلت في مواقف كثيرة من الممكن أن تقلب حياة الإنسان رأساً على عقب.

وقد لجأ الشاعر أحمد دحبور إلى توظيف المثل الشعبي في شعره، فمن ذلك قوله:

"لأن الكفّ سوف تلاطم المخرز"[٥١].

حيث وظّف المثل القائل:

---

[٥٠] شكارنة، عمر، (١٩٩٨)، مدخل إلى دراسة الأدب الشعبي (الحلقة الأولى)، مجلة التراث والمجتمع، العدد ٣١، ٣٠ إبريل/ نيسان، ص ٣٩.

[٥١] دحبور، أحمد (١٩٨٣)، الديوان. ص٣٩.

"**الكفّ لا تلاطم المخرز**"[٥٢].

لم يوظفه بصورته الأصلية وإنما صوّره ليناسب الواقع، فاستخدم التحوير والنفي في التناص؛ فالمثل يضرب حين يعجز الإنسان عن مواجهة ما هو أقوى منه، والتحذير من معاداة الأقوياء أو ذوي النفوذ الذين بوسعهم إيذاء المرء، ولكن رؤية الشاعر لا تتناسب مع هذا المعنى، فهو يريد أن يؤكد على إصرار الفلسطيني على المقاومة والمواجهة وقوة العدو لن تقضي على هذا الإصرار.

وفي قوله:

"**باسم جوع يقتل الأطفال كافر**

أعبُر النهر المجاور"[٥٣].

وقوله:

"**إنّ الجوع يفتنه**"[٥٤].

المثل القائل: "**الجوع كافر**"[٥٥].

يضرب لبيان أنّ الجوع قد يحمل الجائع على ارتكاب المآثم كالسرقة، ولكنه هنا حمله على المقاومة من أجل الحصول على حقه بالعودة إلى أرضه.

وقوله:

"**لكنها الدنيا تدور.. وإنه الصوت المحتم**"[٥٦].

المثل القائل:

---

٥٢) عطا الله، (١٩٨٥)، ص٢٦٣.
٥٣) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص١٩٣.
٥٤) المصدر السابق، ص٢٠٠.
٥٥) عطا الله، (١٩٨٥)، ص١٢٧.
٥٦) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص٢١٦.

"الدنيا دوارة لا تخلي الراكب راكب والا الماشي ماشي"[٥٧].

يُقال لمن تتغير عليه الأحوال فتتحسن أو تسوء، فيبث الشاعر في نفس القارئ الأمل بحتمية التغيير للواقع العربي الضعيف في الوقت الحاضر، وقالوا قديماً "لو دامت لغيرك ما وصلت إليك"، فالاحتلال إلى زوال، والواقع العربي لا محالة متغيّر، فلا يدخلنَّ اليأس إلى نفوسكم.

ثانياً: الشخصية الشعبية:

لعلّ أكثر الشخصيات التي وظفها الشعراء في شعرهم شخصية الزير سالم [٥٨].

قال دحبور:

"وقرب رمحي الرّوينيّ
رأيت رأس كليب
يضيء وجه المخيم
يقول لي: لا تصالح
يقول لي: أنت ملزم
إنّ الدما لا تسامح
فهل تسدد ديني؟
سيدي ... مالكم يمين
دمكم يثقل الجبين
دمكم أرضنا ...ولن
تفجع الأرض بالبنين
دمكم قال: نحن من؟
فخرجنا من الكفن
من بطاقات لاجئين
من يدي سائل حزين

---

٥٧) قديح، فوزي، (٢٠٠٣)، منتخب الأمثال الشعبية الفلسطينية. ط١، القدس: اتحاد الناشرين الفلسطينيين، ص١٦.

٥٨) يونس، عبد الحميد، (١٩٨٣)، معجم الفلكلور. ط١، لبنان: مكتبة لبنان، ص ص ١٣٨-١٣٩.

ودخلنا على الزمن
زرعت في الجرح عيني
قرأت عشر الوصايا على بلاط المنايا"[٥٩].

إنّ اطّلاع المتلقي على قطوف من السيرة الذاتية للشاعر يكشف عن انحياز الشاعر للزير سالم، وحنقه وغضبه من مقتل (كليب)، لقد كانت فروسية الزير سالم من الجينات التي شكّلت شخصيّته، والثأر لكليب من المشاعر الحادة التي خلّفت وجدانه الوطني، والمتأمل في حنايا السياق النفسي للقصيدة التي امتصت شخصيّة كليب، لا يجد اختلافا بين إلحاح الزير سالم على الثأر لدم كليب ورفضه لطلب الصلح، وإلحاح الشاعر على استحقاقات دم الشهداء، ورفض الصّلح مع الإعداء، ولا يجد فرقاً بين دلالة الأفق النفسي لمقتل كليب والحرص على الثأر والشّعور بالظّلم والرغبة بالعدالة من جهة، ودلالة دم الشهيد الفلسطيني، والإيمان المطلق بالعودة للوطن المسلوب، والإحساس بالظلم والألم في المنفى من جهة ثانية، كما يدل النبض الدلالي للقصيدة[٦٠].

وقد قرأ دحبور قصته فوظفها في شعره، وهذه السيرة الشعبية تنطلق من وصايا عشر تبدأ بقول:

"فأول شرط يا أخوي لا تصالح ونفذ الزير وصية أخيه"[٦١].

والشاعر هنا يدعو الفلسطينيين إلى عدم المصالحة مع العدو، وعدم التسامح معه، فما حصل للشعب الفلسطيني من ذبح وقتل وتشريد، لا يتصوره عقل، وتحوّل الفلسطيني من مالك للأرض إلى مشرّد في المخيم عنوانه بطاقة لجوء تسوؤه أينما رحل وأينما حلّ، وإلى أين يرحل؟ وإلى أين يذهب؟ وهو المقهور المظلوم، لذلك كله من الصعب أن يصالح ويساوم على دمه.

ثالثاً: الحكاية الشعبية:

يوظف الشعراء الفلسطينيون في أشعارهم الحكاية الشعبية المعروفة والمتداولة بين الناس، والحكاية الشعبية هي أحدوثة تتميز بالخيال الشعبي، ويتم تناقلها شفويّاً من جيل إلى جيل، وقد

---

٥٩) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص ص ٢٠٨-٢٠٩.
٦٠) عتيق، عمر، (٢٠١٣)، نبض السيرة الذاتية في شعر أحمد دحبور وتقنية التناص. موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني، ج٣، مجمع القاسمي للغة العربية وآدابها: أكاديمية القاسمي، ص ص٥١-٩٠.
٦١) الكركي، خالد، (١٩٨٩)، الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث. ط١، بيروت: دار الجيل، ص٩٠.

اعتاد العرب تناقل هذه الحكاية للأبناء بواسطة الجد أو الجدّة، ويعود أصل الحكاية الشعبية إلى فترات قديمة جداً، وهي تتحدّث على الأغلب عن البطولات، الحب، الوطن، الفقر، والنقد بأسلوب شعبي للواقع الذي يعيشه الآباء.

ومن ذلك توظيف الشاعر دحبور للحكاية في قوله:

"**وافتح السمسم بالنار فيسري العائدون**"[٦٢].

جذور هذه الحكاية علي بابا والأربعين حرامي وذلك أنّ السمسم ذو الصفة السحرية يستطيع أن يفتح أبواب الثورة، فعلي بابا رمز للإنسان الفلسطيني المقاوم والثائر، والسمسم رمز لقوة هذا الإنسان الفلسطيني السحريّة.

رابعاً: الأغنية الشعبية:

الأغنية الشعبية إحدى أنماط التعبير الشعبي، تؤدي وظيفة خاصة في حياة الشعب، وتختلف عن غيرها من أشكال التعبير الشعبي في كونها تؤدى عن طريق الكلمة واللحن في آنٍ واحد، وليس عن طريق الكلمة وحدها.

وقد لجأ أحمد دحبور إلى توظيف الأغنية الشعبية للتعبير عن أفكاره، ففي قصيدة له بعنوان (الخوف وحبّات الطّلع) أهداها إلى ذكرى صديقه الشهيد (جلال كعوش)، أخذ يتحسّر على استشهاده معبّراً عن ذلك بقوله:

"**الطلع خلف الباب، طوع الريح، يبحث عن ربيع**

والريح تعصف – يا ثياب أبيك دامية تشيع

يا شجرة في الدار حاميها أسد

وتكسرت لغصانٍ من كتر الحسد

[٦٢]) دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، الديوان. ص١٩٤.

بيدي زرعت الزرع والثاني حصد. يا حسرتي" [٦٣].

فقد وظف الأغنية الشعبية التالية في موضوعه هذا ليعبّر عن مدى حزنه:

"يا شجرة في الدار حاميك أســـــد وتكسرت لغصون من كتر الحسد

قال زرعت الزرع وإجا غيري حصد يا حسرتي غير التعب ما نابيا"[٦٤].

ولم يتوقف الشاعر، بل يواصل مكرراً بعض المقاطع

"كانت ... جلال الجرح يخرسني وذاكرتي تشيع

بيدي زرعت والتاني حصد

يا حسرتي.. ردوا الحمل لعدوّ لنا"[٦٥].

وأخيراً، هكذا يمضي الشاعر أحمد دحبور في التواصل مع المرجعيات الثقافية والتراثية وإسقاطها على الواقع المعيش لفلسطين.

خلاصة:

- انعكست حياة الشاعر ومعاناته من الفقر على شعره بشكل كبير، فارتبط مع الفقراء وجدانياً وحياتياً، كما أنه دعا إلى تأسيس حزب الفقراء.
- اتكأ الشاعر على صفات الشخصيات الدينية التي وظفها في شعره وعلى بعض الأحداث والمواقف التي مرّت بها تلك الشخصيات في حياتها.
- حرص الشاعر على الإفادة من كافة أشكال التراث الفلسطيني ولكن بدرجات متفاوتة، وذلك يدل على سعة ثقافته وبخاصة في المجالات الثقافية المتصلة بالتراث.

---

٦٣) المصدر السابق، ص١٤٢.

٦٤) سرحان، نمر، (١٩٨٩)، موسوعة الفولكلور الفلسطيني. ط٢(١-٣)، الأردن: مؤسسة الفولكلور الفلسطيني، ص٧٢.

٦٥) دحبور، أحمد، (١٩٨٣) الديوان. ص ص ١٤٢-١٤٤.

- حاول الشاعر إسقاط كل أشكال التراث التي استحضرها في شعره على واقع الشعب الفلسطيني ومعاناته مع ظلم الاحتلال.
- كان للمرجعيّات الدينية النصيب الأكبر من بين الأنواع الأخرى في ديوانه "حكاية الولد الفلسطيني".
- ظهر في شعر دحبور كثير من الصور الشعريّة التي اتبع فيها نهج القصيدة الحديثة، فقدّم لنا أشكالاً مختلفة من التصوير والخيال.

- عودة الأديب إلى الموروث القديم واستلهامه يثري الأدب والإبداع الجديد بأدوات تراثية نحن في عصرنا هذا بحاجة إليها للاستقاء منها وتوظيفها في الأدب توثيقاً يتماشى مع معطيات الحاضر.
- أحمد دحبور من الشعراء الذين تعاملوا مع الموروث القديم بشكل يشجع على القراءة.
- ربط الماضي بالحاضر من بواعث بث الأمل والتفاؤل في نفوس الناس، لذلك كان لزاماً علينا الرجوع إلى تلك الدراسات والغوص فيها وسبر أغوارها للاستفادة منها.

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم

* الانجيل متّى

١. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ت ٦٣٠هـ (١٩٨٧)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، م٢، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢. ابن هشام، (د. ت)، **السيرة النبوية**، تح: محيي الدين عبد الحميد، ج٢، القاهرة: دار الفكر.

٣. أبو أصبع، صالح، (١٩٧٩)، **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ٤٨-٧٥**، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٤. أبو نضال، نزيه، (١٩٧٤)، **الشعر الفلسطيني المقاتل، دراسة في الواقعية الثورية**، ط١، بيروت: منشورات اتحاد الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين.

٥. دحبور، أحمد، (١٩٨٣)، **الديوان**. بيروت: دار العودة.

٦. سرحان، نمر، (١٩٨٩)، **موسوعة الفولكلور الفلسطيني**، ط٢(١-٣)، الأردن: مؤسسة الفولكلور الفلسطيني.

٧. عطا الله، عيسى، (١٩٨٥)، **قالوا في المثل**، جمعية الدراسات العربية، القدس: مطبعة أوفست، حسن أبو دلو.

٨. قديح، فوزي، (٢٠٠٣)، **منتخب الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ط١، القدس: اتحاد الناشرين الفلسطينيين.

٩. قطب، سيد، (١٩٧١)، **في ظلال القرآن**، ط٧. بيروت: دار إحياء التراث الديني.

١٠. الكركي، خالد، (١٩٨٩)، **الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث**، ط١، بيروت: دار الجيل.

١١. اليسوعي، روبرت كامبل، (١٩٩٦)، **أعلام الأدب العربي المعاصر**، ط١، بيروت: الشركة المتحدة.

١٢. يونس، عبد الحميد، (١٩٨٣)، **معجم الفلكلور**، ط١، لبنان: مكتبة لبنان

الرسائل الجامعية

١. شوقي، أحمد أبو زيد، (١٩٩٥)، **المصادر التراثية الفلسطينية في الشعر الفلسطيني**، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان.

٢. صلاح الدين، بنان محمد حسين، (٢٠٠٣)، **التواصل بالتراث في شعر أحمد دحبور**، رسالة ماجستير، دائرة اللغة العربية وآدابها، جامعة القدس، فلسطين.

المجلات

١. شكارنة، عمر، (١٩٩٨)، **مدخل إلى دراسة الأدب الشعبي (الحلقة الأولى)**، مجلة التراث والمجتمع، العدد ٣١، ٣٠ إبريل/ نيسان ص ص ٢٦-٤٨.

٢. عتيق، عمر، (٢٠١٣)، **نبض السيرة الذاتية في شعر أحمد دحبور وتقنية التناص**، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني، ج٣، مجمع القاسمي للغة العربية وآدابها: أكاديمية القاسمي، ص ص٥١-٩٠.

المواقع الإلكترونيّة

١. من حوار أجرته عزيزة علي، الخميس ٢٠٠٥/٨/٢٥ (غزّة) http://www.al-arabeya.net/index.asp